وقد بين القاوقجي قائد جيش الانقاذ[٧٧]، هذا الواقع مشيراً إلى قلة اهتمام الزعامات العربية الرسمية وعجزها وعدم جديتها في المواجهة أثناء المعارك. مما جعل تركيبة هذا الجيش وإمكانياته ومهامه، تأتي موضوعياً في سياق الهدف العربي الرسمي من تشكيله.

ويشير محمد فائز القصري إلى أن تشكيل جيش الانقاذ جاء «ارضاء للشعور العربي الثائر على حكوماته المتراخية في قضية فلسطين... وان الذين طالبوا بتأسيسه أشخاص هدفوا إلى الدعاية والتأثير على الرأي العالمي، وإلى إشغال الرأي العام العربي بمسايرة تطلعاته»[٧٨] ذلك لان موقف الجامعة العربية كان حرجاً أمام حالة الغليان الجماهيري فلم تجد أمامها بالتالي، «على حد رأيها في ذلك الوقت إلا طريقين هما تسليح الفلسطينيين نسبياً، وتحضير جيش الانقاذ وإدخاله فلسطين ليدافع عنها، ريثما تعتمد الجيوش العربية دخول الحرب. ومن جهة أخرى، إيهام هيئة الأمم ومنها بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية لتعدل عن قرار التقسيم، وتؤجل تطبيقه لوقت آخر»[٧٩]. ويؤكد ما تقدم أن تشكيل جيش الانقاذ، لم يعد كونه، في أحسن الأحوال، محاولة ساذجة للمناورة، هدفها التلويح بالقوة لا استعمالها، وقد بيّن مجرى الأحداث في ما بعد أنه قد تم «تعديل الخطط وإبعاد أهل البلاد الفلسطينيين عن أمور الدفاع عن مدنهم وقراهم إرضاء للملك عبد الله»... «الذي لم يدخل الحرب وإنما كان يطبق حدود التقسيم»[٨٠].

الدول العربية في الحرب

لم تدخل جيوش الدول العربية حدود فلسطين، ليلة الخامس عشر من أيار (مايو) في العام ١٩٤٨، بعامل التنسيق والوحدة في ما بينها، وإنما بعكس ذلك تماماً. ففي الوقت الذي أجمعت فيه الدول العربية على إرسال جيوشها إلى فلسطين، كانت هذه الدول في الواقع تتوزع على ثلاثة محاور متصارعة، ومختلفة في وجهة نظرها بشأن التدخل[٨١]. وقد أنتج واقع التحالف والتناقض هذا، المنطق الفعلي للتدخل في فلسطين[٨٢]. وكان طرفاً الصراع الاساسيان ازاء القضية الفلسطينية في المحاور العربية الثلاث، هما مصر وشرق الاردن. وقد دخل كلا الطرفين المعركة، وهو يتطلع إلى هزيمة أطماع الطرف الآخر، لا إلى منع قيام الدولة اليهودية.

مجمل القول، أن الدول العربية، اتخذت قرارها مجتمعة بالتدخل، دون أن ترافق هذا القرار بالاعداد والتجهيز اللازمين له. فضلاً عن أن الجيوش العربية لم تكن أصلاً مؤهلة لخوض معركة مصيرية في فلسطين[٨٣] وكان الملك عبد الله، هو الوحيد من القادة العرب الذي يعرف ما يريد من التدخل[٨٤] وهو الذي لعب الدور الحاسم في تقرير نتائج الحرب عربياً. وقد قادت الأحداث والتطورات إلى توليته القيادة العليا للجيوش العربية[٨٥] وفق خطة لم تنفذ، بسبب تواطئه، وقيادة جيشه الانكليز، مع الخطة الصهيونية، بحيث يقتسم الطرفان: الهاشمي والصهيوني فلسطين في ما بينهما.

وبعد أن استمرت المعارك أربعة أسابيع متواصلة، قامت خلالها القوات العربية بالسيطرة على تلك المناطق التي حددت للعرب بموجب قرار التقسيم[٨٦]، ثم فرض الهدنة الأولى في الحادي عشر من حزيران (يونيو) ثم تبعتها في الخامس عشر من تموز (يوليو)